

Journal of Science and Knowledge Horizons
ISSN: 2800-1273 | E-ISSN: 2830-8379

Title: The Role of the Poets of the Algerian Revolution in Crystallizing National Awareness and Islamic Nationalism (Mufdi Zakaria as a Model)

Hisham Hajjar

University of Martyr Zian Ashour - Djelfa (Algeria)

Email: hichamkroos@gmail.com

Submission Date: 27/07/2022

Acceptance Date: 09/08/2022

Publication Date: 01/12/2022

Abstract:

The colonial conditions experienced by Algeria before and during the liberation revolution led to the emergence of a nationalist tendency and Arab-Islamic nationalism, which was expressed by the poets of the liberation revolution, including the poet Mufdi Zakaria. This study aims to shed light on the national and Islamic dimensions reflected in Zakaria's poems and epics. By following a descriptive and analytical approach, the research delves into the meanings conveyed in Zakaria's poetry, emphasizing his commitment to the national spirit, Arab and Maghreb unity, and Islamic values. Ultimately, the study concludes that Zakaria's work embodies a deep sense of patriotism and adherence to Islamic traditions, calling for the liberation of Algeria and the unity of the Arab and Maghreb worlds.

Keywords: Liberation Revolution; Algeria; Revolution Poetry; National Dimensions; Patriotism; Mufdi Zakaria; Islamic Nationalism.

Corresponding Author: Hisham Hajjar

Journal of Science and
Knowledge Horizons
ISSN: 2800-1273-EISSN :2830-8379

دور شعراء الثورة الجزائرية في بلورة الوعي الوطني، والنزعة القومية الإسلامية (مفدي
زكرياء أنموذجا).

**The role of the poets of the Algerian revolution in crystallizing national
awareness and Islamic nationalism (Mofdi Zakaria as a model).**

هشام حجار*

Hisham Hajjar

¹جامعة الشهيد زيان عاشور - الجلفة(الجزائر). HICHAMKROOS@GMAIL.COM

تاريخ النشر: 2022/12/01

تاريخ القبول: 2022/08./09

تاريخ ارسال المقال: 2022/07/27

Hisham Hajjar*

المُلخَص:

لقد أدت الظروف التي مرت بها الجزائر المستعمرة، قبل وأثناء الثورة التحريرية، إلى ظهور نزعة وطنية وقومية عربية إسلامية، عبر عنها شعراء الثورة التحريرية، ومن بينهم الشاعر "مفدي زكريا"، وتهدف المداخلة إلى تسليط الضوء على ما تناولته قصائد وملاحم الشاعر مفدي زكريا من أبعاد وطنية وقومية، وللإلمام بالموضوع قمنا باستظهار ما حملته قصائد مفدي زكريا من معاني تحمل في طياتها أبعادا وطنية وقومية ودينية، متبعين في ذلك المنهج الوصفي التحليلي.

وخلصنا في الأخير إلى أن شاعرنا تشبع بالروح الوطنية، والقيم الإسلامية، وآمن بالقومية العربية والمغربية، وهو ما يظهر في جميع قصائده، التي دعا من خلالها إلى التمسك بالوطن والحفاظ عليه، والجهاد من أجل تحريره، والعمل على إنجاح مشروع الوحدة العربية والمغربية، كما دعا إلى التمسك بالأخلاق والعادات والتقاليد الإسلامية.

الكلمات المفتاحية: الثورة التحريرية؛ الجزائر؛ شعر الثورة؛ الأبعاد القومية؛ الوطنية؛ مفدي زكريا.

مقدمة:

لقد عانى الشعب الجزائري من ويلات الاستعمار الفرنسي الذي حاول وعمل على طمس هويته ولغته وانتمائه، وعن عناصر ثقافته، فاستهدف البعد القومي والعربي الإسلامي للجزائريين، وعيا منه بأهمية هذه المقومات في مساعيه لإخضاع الشعب الجزائري.

قابل الشعب الجزائري هذه المساعي بالتمرد والقيام بالثورة، مضحيا بالنفس والنفيس في سبيل حريته، مقدما نفسه رخيصة لهذا الوطن الغالي، وكان الشعراء والأدباء في مقدمة طلائع هذه الثورة، سواء بأقلامهم، أو حتى بسلاحهم، فصنعوا الملاحم الشعرية والقصائد النارية التي كان وقعها أشد على المستعمر من الرصاص، ذلك أنها إلى جانب تحريض الناس وحثهم على حمل السلاح في وجه المحتل، وفضح جرائمه، عمل الشعراء على إثارة البعد الوطني والنزعة القومية العربية والإسلامية في نفوس الشعب الجزائري.

ومن هذا المنطلق تكمن أهمية هذه الورقة البحثية، التي تبرز وظيفة شعراء الثورة الجزائرية في بلورة الوعي الوطني والقومي، من خلال أعمال وقصائد ودواوين الشاعر مفدي زكريا، المتشبع بالروح الوطنية والنزعة القومية الإسلامية، والتي دافع عنها في قصائده المختلفة، حاثا شباب الجزائر والأمة بأوطانهم، وبحلم الوحدة العربية

الإسلامية، والوحدة المغاربية، كما حثهم على الالتزام بالثوابت والآداب الإسلامية، وعدم الانسلاخ عن تقاليد الأجداد.

وعلى ضوء ما سبق طرحنا الإشكالية التالية: كيف تناول الشاعر مفدي زكرياء الأبعاد الوطنية والقومية العربية والإسلامية في قصائده؟

وحاولنا الإجابة على هذه الإشكالية بإتباع خطة شملت خمس نقاط رئيسية، بدءا بتعريف منهجي للنزعة الوطنية والقومية، ثم التعريف بالشاعر مفدي زكريا، وتطرقنا في النقطة الثالثة إلى الأبعاد الوطنية التي تناولها شاعرنا في قصائده، لنتقل إلى النقطة الرابعة، أين تحدثنا عن النزعة القومية العربية والمغاربية في أعمال مفدي زكريا، وفي النقطة الأخيرة تطرقنا إلى الأبعاد الإسلامية التي حث عليها الشاعر، و اختتمنا الدراسة باستنتاجات حول الموضوع وتوصيات لدراسات مشابهة، وقد اعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي في دراسة قصائد الشاعر، واستنطاقها وتحليل مضامينها.

المطلب الأول: النزعة الوطنية والقومية "مفاهيم منهجية":

1. القومية :

1.1. لغة: جاء في لسان العرب لابن منظور أن " القوم، الجماعة من الرجال والنساء جميعا، وقيل هو للرجال خاصة دون النساء، يقول زهير:

وما أدري وسوف إخال أدري أقوم آل حصن أم نساء

وقوم رجل: شيعته و عشيرته¹.

وجاء في المنجد في اللغة: " القوم: الإقامة بالمكان، وجمعه أقوام، وأقوام، وأقوام: الجماعة من الناس، قوم الرجل: أقرباؤه الذين يجتمعون معه في جد واحد، القومي: المنتمي إلى مبدأ القومية، القومية: مبدأ سياسي يفضل معه صاحبه كل ما يتعلق بأمته على سواه مما يتعلق بغيرها².

والقوم في المعجم الوسيط " جماعة من الناس تجمعهم جامعة يقومون لها... والقومي: من يؤمن بوجود معاونته لقومه، ومساعدتهم على جلب المنافع ودفع المضرة،... يقال: العيد القومي، والزعيم القومي، القومية: صلة اجتماعية عاطفية، تنشأ من الاشتراك في الوطن والجنس واللغة، والمنافع، وقد تنتهي بالتعاون والتضامن إلى الوحدة، كالقومية العربية³.

1.2. اصطلاحاً: القومية بمفهومها البسيط، هي ذلك الشعور المشترك بين جماعة من البشر، بأن هنالك ما يجمعهم، ويؤلف بينهم ليكونوا أمة واحدة، متميزة عن سائر الأمم، وأن العناصر التي تجمعهم أكثر من التي تفرقهم أو تحول دون توحدهم⁴.

ويعتبر محمد يتمور القومية العربية بمثابة رسالة حياة، مكتوبة بخط عربي، هذه الوحدة اللغوية من شأنها أن تيسر مشروع الوحدة، في حين يربطها محمد منذور بالثقافة العربية ويرى أن التبادل الثقافي، والتواصل الحضاري بين الشعوب العربية وحده الذي يستطيع تقريب العقول وتوحيد مفاهيم الحياة، وبالتالي تيسير تجسيد مشروع الوحدة⁵.

ويرى عمر الدقاق أن القومية هي ذاكرة قبل كل شيء، أو بتعبير آخر هي ذاكرة المجتمع، وأي أمة لا يمكنها القيام إلا بالعودة إلى ماضيها وتراثها الأصيل، واستحضار أمجادها وبطولاتها⁶، ويضيف الدقاق المصير العربي المشترك كعنصر آخر من العناصر التي تقوم عليها القومية العربية، لأن المطاعم والآلام لها أثرها الكبير في تنمية وتقوية المشاعر القومية⁷.

ومن خلال هذه التعاريف الاصطلاحية السابقة يمكننا استنتاج عناصر القومية: اللغة، الأصل، الثقافة المشتركة (قد يدخل الدين في إطارها)، التاريخ المشترك، والمصير المشترك.

2. الوطنية:

تعتبر الوطنية من أهم القضايا التي اهتم بها جل الباحثين، ذلك لارتباطها بالمجال الجغرافي والسياسي للأمة، فالوطنية هي: " حب الوطن والشعور بالارتباط الظاهري والباطني به"⁸، وهو " مصطلح يؤدي معنى الشعور بحب الوطن والذي هو الدولة التي نعيش فيها، وهي أصغر من القومية"⁹، ومن التعاريف السابقة يتبين لنا أن الوطن هو المكان وارقة الجغرافية التي تتخذها أمة ما مقراً لإقامتها.

وأما النزعة الوطنية: " نزعة اجتماعية تربط الفرد بالجماعة، وتجعله يحبها ويفتخر بها، ويعمل من أجلها، ويضحى في سبيلها"¹⁰، أي أنه لا يمكن وصف شخص على أنه يمتلك، أو يتصف بالنزعة الوطنية، إلا إذا كان مرتبطاً بالأمة والجماعة التي يعيش معها، إلى درجة تجعله يفخر بانتمائه لها، ويضحى من أجلها.

المطلب الثاني: التعريف بالشاعر مفدي زكريا:

1. نبذة عن حياة مفدي زكريا¹¹:

ولد مفدي زكريا في بني يزقن بميزاب جنوبي الجزائر سنة 1908م، وهو زكري بن سليمان بن يحي بن الشيخ سليمان، أو آل الشيخ، تلقى مبادئ اللغة العربية والفقهاء، وحفظ جزءاً من القرآن الكريم في مسقط رأسه.

سافر سنة 1922 للدراسة في الخلدونية والزيتونة بتونس، ليعود سنة 1926 إلى الجزائر، وامتهن مهنة التجارة، دون إهمال النشاط الأدبي والسياسي، حيث نشرت الصحف إنتاجه وأصبح عضواً في نجم شمال إفريقيا منذ تأسيسه، ثم تولى تحرير جريدة الشعب منذ عدها الأول.

دخل سجون الاحتلال عدة مرات، كان أولها بعد مظاهرات 14 جويلية 1937، التي رفع فيها العلم الجزائري لأول مرة، وفي سجن بربوس نظم النشيد الوطني " أعصفي يا رياح " في نوفمبر 1937م، لتطلق سلطات الاحتلال سراحه سنة 1939م، ليلتحق بعدها بالثورة التحريرية المباركة سنة 1955م، فيسجن مرة أخرى من 19\04\1956 إلى 01\02\1959، وصودرت أمواله وجميع ممتلكاته.

فر إلى المغرب، وازداد إيمانا بضرورة الكفاح المسلح لنيل الاستقلال، وهنا بات لانا معبرا عن الثورة في الصحافة والإذاعات العربية، والمؤتمرات المختلفة، فكان نصير الجزائر المتجول، يعرف بالثورة ويخدم القضية الجزائرية حتى الاستقلال سنة 1962.

عاد إلى الجزائر سنة 1962م، ثم غادرها مرة أخرى إلى تونس 1963م، وبقي فيها حتى سنة 1969م، حيث وجد حفاوة ودعمًا ماديا وأديبا لم يجده حتى في الجزائر، لينتقل بعدها إلى المغرب، ويفتح بها مدرسة للتعليم الثانوي.

توفي الشاعر مفدي زكرياء بتونس سنة 1977م، ودفن مسقط رأسه، تاركا خلفه أثرا نضاليا، وآثارا أدبية وفكرية كبيرة، معظمها مخطوط، أو تتوزع الجرائد والمجلات الوطنية والعربية.

2. منابعه الثقافية¹²:

أخذ مفدي زكريا من منابع ثقافية عديدة، إذ عاش طول حياته متنقلا بين البلدان طلبا للعلم، كما تلقى مبادئ العلم والدين الأولى في قريته، ودرس في تونس على أيدي كبار أساتذة الخلدونية والزيتونة أمثال: الشيخ محمد الشمي، الشيخ إبراهيم بن الحاج عيسى، والشبي صالح بن يحيى، ومنهم تلى مادئ اللغة العربية، والعلوم الأخرى، ففي مدرسة الخلدونية درس الحساب والجغرافية والتاريخ، وفي جامع الزيتونة اطلع على كتب بالغة الأهمية في النحو والبلاغة والأصول منها: كتاب " الشعر والشعراء لابن قتيبه " و " فقه اللغة للثعالبي "، وقد كان لتردد المناضل عبد العزيز الثعالبي على أسرة الشاعر دور كبير في اكتساب زكريا روح حب الوطن والدين.

3. مؤلفاته¹³:

يعتقد الكثير من دارسي الأدب الجزائري أن مفدي زكريا لم يترك إنتاجا أدبيا وفكريا كبيرا، ولا دواوين شعر متعددة، غير أن لمفدي زكريا إنتاج غزير تناثر في مختلف الجرائد والمجلات الوطنية والعربية نثرا وشعرا، ومن أر مؤلفاته المطبوعة نذكر:

- اللهب المقدس: خصه الشاعر للثورة الجزائرية، طبع طبعتان، الأولى في بيروت ن 1961، والثانية في الجزائر سنة 1883م.
- من وحي الأطلس: خصه الشاعر للثورة في المغرب الأقصى، طبع سنة 1976م.
- إلياذة الجزائر: نظمت في ملتقى الفكر الإسلامي المنعقد بالجزائر سنة 1972م، بلغ عدد أبياتها 1000 بيت و بيت.
- تحت ظلال الزيتون: نظمه مفدي زكريا لتونس الخضراء، وطبع سنة 1965م.
- دليل المغرب العربي الكبير: هدف به تسهيل الاتصال بين دول المغرب العربي الكبير.

المطلب الثالث: النزعة الوطنية في شعر مفدي زكريا:

يعتبر الشعر ديوان العرب المخلد لتاريخهم ومآثرهم وأيامهم، فهو أحد أبرز الأقطاب الشعرية لما يحمله من معان سامية عبر سنين طويلة؛ قبل وبعد الثورة التحريرية، وما زال يساير الحركات التحريرية عبر العالم إلى يومنا هذا. فالشعر مرآة عاكسة لواقع المجتمع وما يجري فيه من أحداث ووقائع تظل شاهدة على التاريخ، وما تحدثه من انطباعات وأفكار في النفس مما يجعله صادقا بكيونة الأمة وذاتها ومنه فقد اكتسبت الثورة العربية صورة العمق والأصالة، حيث أنه كان عنوانا للمناصرة والصمود والكفاح لزمان الثورة، وكان يتميز بقضايا عديدة سواء قضايا الأمة العربية أو قضايا إنسانية أخرى¹⁴.

اقترن اسم الجزائر غالبا باسم الثورة والجهاد والصمود، فعرفت برجالات الثورة وشهدها ومجاهديها من حملة السلاح، أمثال العربي بن مهدي و مصطفى بن بولعيد، وإذا ذكرت الثورة في جانبها الأدبي ذكر رجالها أيضا، ولعل أبرز من سخر قلمه لخدمة وطنه وقضايا أمته، وكانت كلمته رصاصة، والحبر دما، إنه واحد من أسماء عديدة قدمت ضريبة العرق والدم والحبر لنصرة ورفعة الجزائر، شاعر دوى صوته في أرجاء الوطن، امتزج بدماء الثوار، وترسخ كالتاريخ بماضينا، ليظل الحاجز المحمل بالماضي، وسيظل كذلك، إنه صوت شاعر المعجد والثورة مفدي زكريا¹⁵.

و نقول أن البعد الوطني في شعر الثورة تخصص به الشعر الجزائري ويقوم على تعبير أبناء الجزائر من الشعراء عن قضيتهم الوطنية في مقاومتهم الاحتلال الفرنسي، فكثيرة هي الأشعار الجزائرية التي حملت النزعة الوطنية¹⁶، ولقد كان شاعر الثورة الجزائرية مفدي زكريا من الأعلام الشعرية التي تناولت الثورة الجزائرية بالتمجيد والإشارة بروح وطنية معتزة ببلدها الجزائر، و حمل هم الوطن والثورة في قصائده، ومن بين أهم قصائده التي تنضح بالاعتزاز بالجزائر وتاريخها وشعبها، إلياذة الجزائر، التي يقول في مطلعها:

جزائر يا مطلع المعجزات ويا حجة الله في الكائنات

ثم يقول:

ويا صفحة خط فيها البقا بنار ونور جهاد الأباة

ويا للبطولات تغزو الدنا وتلهمها القيم الخالدات

وأهوى على قدميها الزمان فأهوى على قدميها الطغاة¹⁷

فهو في هذه الأبيات يصف الجزائر بأرض المعجزات، ويتغنى ببطولاتها وأمجاد مجاهديها، كما يصفها بأنها مقبرة الطغاة والمحتلين.

وفي أبيات أخرى يصف جمال طبيعتها الفتان، وأرضها الساحرة، وجناتها الجذابة:

جزائر يا بدعة الفاطر ويا روعة الصانع القادر

ويا بابل السحر من وحيها تلقب هاروت بالساحر

ويا جنة غار منها الجنان وأشغله الغيب بالحاضر¹⁸

وباعتبار مفدي زكريا أبرز شعراء الثورة التحريرية المباركة، فالأكيد أنه تغنى ببطولاتها، كيف لا؟ وهي الثورة التي تعدت سمعتها حدود الوطن، إلى المحافل الدولية العالمية، وأصبحت حديث اجتماعاتهم ومؤتمراتهم، كما أنها ملهمة الشعوب المقهورة المظلومة في كل العالم، فالجزائر حسبه قبلة الثوار ومصنع الأباة، وهذا ما جسده شاعرنا في قوله:

ويا ثورة حار فيها الزمان وفي شعبها الهادئ الثائر

ويا وحدة صهرتها الخطو ب، فقامت على دمها الفائر¹⁹.

ويقول:

قل للجزائر وأصغ إن ذكر اسمها تجد الجبابرة ساجدين وركعا

إن الجزائر في الوجود رسالة الشعب قررها وربك وقعا

إن الجزائر قطعة قدسية في الكون، نحتها الرصاص ووقعا

ولعل أبرز ماكتبه مفدي زكريا في حب الوطن، النشيد الوطني الجزائري "قسما"، الذي تقشعر لسماعه الأبدان، وتنهمر عند ترديده العيون، فهو يمثل قصة كفاح الجزائريين وثورتهم، ومن أهم المقاطع التي تنضح بالروح الوطنية، والحث على الاستجابة لنداء الوطن، المقطع التالي:

صرخة الأوطان من ساح الفدا اسمعوها واستجيبوا للندا

واكتبوها بدماء الشهداء واقرووها لبني الجيل غدا
 قد مددنا لك يامجد يدا وعقدنا العزم أن تحيا الجزائر
 فاشهدوا... فاشهدوا... فاشهدوا.

ولقد كان الوطن بالنسبة لمفدي زكريا الغاية والمنتهى، فزرعت في قلب الشاعر حبا كبيرا بما حملته من سلام إليه، فتغنى بها ووصفها بكل الأوصاف، وجعلها عروسا للعالم وللدنيا وجنة تهدد على عظمة الخالق في أرضه، بما فيه من حنان وسماح وهناء، يقول في أحد قصائده:

جزائر أنتِ عروس الدنيا ومنكِ استمدَّ الصباح السنَّا
 وأنتِ الجنانُ الذي وعدوا وإن شغلونا بطيب المنا
 وأنتِ الحنان وأنتِ السماح وأنتِ الطماح وأنتِ الهنا

ويقول:

وفخر الجزائر فيك تناهت مكارب عُربٍ وأمجاد فرس
 وأحفاد أول من ركزوا سيادة أرض الجزائر أمس
 دماء ابن رستم ملء الحنايا صوارخ يلهين عزة نفسي
 وعرق الأصالة طهرَ طبعي ونور الهداية أذهب رجسي
 وكُرِّمت باسم المفاخر قومي وشرفْتُ باسم الجزائر جنسي
 إذا للكريهة نادى المنادي بذلت حياتي وودعت أنسي
 وإن للسخاء استجاب كريم ففي الجود لُقِّنتُ أروع درس
 وإن شيّدوا للبقاء والخلود جعلت وفائي دعامة أسّ²⁰

وفي هذه الأبيات يبين مفدي زكريا أنه مولع بوطنه وانتمائه، مفتون بأخلاقه، مؤمن برسالته، مجتهد في دعوته التي تنم عن شعور نبيل يكاد يختفي في كل شخص، وهو الإخلاص في حب الوطن.

وفي هذا يقول أيضا:

فيا أيها... الناس هذي بلادي ومعبد حبي وحلم فؤادي

وإيمان قلبي وخالص ديني ومبناه. في ملتي واعتقادي

بلادي أحبك فوق الظنون وأشدوا بحبك في كل نادي²¹

المطلب الرابع: النزعة القومية في شعر مفدي زكريا:

إن القومية العربية واحدة من الروابط التي تجمع مجموعة كبيرة من الشعوب تنتمي إلى العروبة، وعلى هذا الأساس قام الشعراء العرب بمجدون ثورة الجزائر، ويصفون إحساسهم إزاء نارها الملتهبة التي تحرق العدو، وتشعل شمعة مجد الجزائر.

وقد تميز مفدي زكريا بنزعتة القومية العربية والمغربية الكبيرة، فكثيرا ما يظهر في شعره أنه يثبت لقارئيه، وللرأي العام العربي، عروبة الجزائر وكفاحها الذي هو امتداد لكفاح الأمة العربية بأسرها ضد الظلم والطغيان، فلا يكتمل العز العربي حسبه إلا باستقلال الجزائر، ولا يكتمل استقلال الجزائر إلا باستقلال فلسطين، فيقول:

ويا عربي في بلاد شقيقة عربوتنا من يستطيع لها نكرا

فما حربنا إلا امتداد لثورة أراد لها من كان يخذلنا خسرا

فلسطين في أرض الجزائر بعثها فمدوا يدا نحم المعازل والثغرا²².

وقد كان شاعرنا يرى أن الشعوب العربية لا تقف مكتوفة الأيدي في وجه ظلما، فهي أمة رفها السامي ظهر خلال الثورة التحريرية، التي باتت مفخرة العرب والمسلمين، الذين سارعوا إلى دعمها على قدر الاستطاعة، وهذه أبيات من قصيدته "اقرأ كتابك" يقول فيها:

إنما تمهد بالجزائر موجع آسى الشام جراحه وتوجعا

واهتز في أرض الكنانة خافق وأفضَّ في أرض العراق المضجعا

وارتجَّ في الخضرا شعب ماجد لم تنه أراؤه أن يفزعا

وهوت مراکش حوله وتألمت لبنان واستعد جديس وتبعا

تلك العروبة إن تثر أعصابها وهن الزمان حيالها وتزعزعا

الضاد في الأجيال خلد مجدها والجرح وحد في هواها المنزعا²³.

ويقول أيضا:

يا أمة العرب الكرام، كرامة لك في الجزائر حرمة وذمام

إن صاح في أرض الجزائر صائح لبتنه مصر وأدركته شام
 في المغرب العربي عرق نابض يذكيه في حرب الخلاص ضرام
 عز العروبة في حمى استقلالنا أيطير مقصوص الجناح حمام²⁴.

وفي بيت آخر يقول:

عز العروبة في أعطاف ثورتنا إن تسندوا حربنا نرفع لكم شأننا

وهنا يعتبر مفدي زكرياء أن لا عز للعرب بغير اكتمال استقلال جميع أقطابها وأقاليمها، حتى تكتمل الوحدة الكبرى، بل ويرجع عز العروبة إلى الثورة التحريرية الكبرى، ويحث العرب إلى دعمها، كي يعلوا شأنكم باستقلال الجزائر، فإذا استقلت الجزائر، ستكون رائدة الوحدة العربية، وستكون سنداً للشعب الفلسطيني حتى يسترجع سيادته:

ففي الجزائر حيفا والجليل وفي أرض الجزائر جرح العرب يلتئم
 لن يطمئن على استقلالهم عرب وفي الجزائر نار الحرب تضطرم
 يا رائد الوحدة الكبرى وقائدها لا يأس فالوحدة الكبرى ستنتظم
 عهد العروبة ركن من عقيدتنا وللعروبة في أصلابنا رحم
 وفي الجزائر أكباد تفور دما فداء يعرب يجري سيلها العرم
 مدوا لها يد صدق غير واهية تتأر ليعرب فيها الساح والقمم
 من الجزائر ذئب العرب باغتتنا وفي الجزائر عهد الذل يختتم²⁵.

أي أن عصر الاستعمار الصليبي بدأ بالجزائر، ومن تاريخ استعمارها بدأ عصر الذل العربي، وباستقلالها يختتم وينتهي زمان هوان العرب والمسلمين.

ولا تخلوا أغلب قصائد مفدي زكريا من الدعوة إلى الوحدة العربية، والتمسك بالعروبة ولغة الضاد، والافتخار بالانتماء لهذه الأمة العريقة الجريحة، فلما ذكر بنت الجزائر نسبها إلى العرب، فقال: "أنا بنت الجزائر أنا بنت العرب"²⁶.

وفي نشيد جيش التحرير الذي نظمه باللغة الشعبية، لم ينس ذكر انتماء الجزائريين للعرب، فقال: "الله أكبر... أنا عربي مسلم"²⁷، وفي نشيد طلاب الجزائر، الذي لا يزال نشيد الطلبة الجزائريين إلى اليوم، يقول:

"يوم تحرير الجزائر... وتسود العبقورية... في بلاد عربية... زحرت بالمدنية"²⁸، أما نشيد الانطلاقة الوطنية الأولى لحزب نجمة إفريقيا الشمالية، والذي نظمه سنة 1936م، والذي يعتبر بمثابة النشيد الوطني آنذاك، يذكر فيه انتماء الجزائر إلى الأمة العربية، فيقول: "ولتحية الجزائر مثل الهلال ولتحية فيها العربية"

ولقد سار إلى جانب الانتماء العربي الذي تغنى به شاعرنا، انتماء أدق بالنسبة للجزائريين، وهو الانتماء إلى المغرب العربي الكبير، هذا الذي لطالما حلم به مفدي، ونظم من أجله القصائد، التي يقول في إحداها:

المغرب العربي أنت جناحه حرك جناحك يصعد المنطاد
ولتشهد الدنيا هنالك وحدة جبارة تتح لها الأبـداد
شعب الجزائر قام بيني صرحها بدمائه والحادثات شـداد²⁹.

ويقول:

في حمى الخضراء أهل وجيرة كرام زكت أفضالهم وسمت خلقا
وفي المغرب الأقصى لنا اللحمة التي تزيد مع الدنيا وشائـجها عمقا
وفي الشرق إخوان كـرام أعزة عروبتنا كم عبدت بيننا الطرقا
هي الوحدة الكبرى فمن رام قطعها فقد رام أن يستل ممن صـلبنا عرقا
هو المارد العملاق إن تحم ظـهره تعش مستقلا لا تضل ولا تشقى³⁰.

المطلب الخامس: النزعة الدينية في شعر مفدي زكريا:

لا يخفى على أحد، أن المستعمر عمل على تجريد الشعب من عقيدته، حيث انشأ معاهد خاصة لتكوين رجال جندهم للطعن في الإسلام، ثم دعوته للإدماج من أجل القضاء على التراث القومي والعقائدي، وعوامل أخرى أثرت في ضعف النفوس فطغت عليها الأوهام، كما طغت الخرافات والأباطيل على الدين، حتى إن الكاردينال (لافيجري) قد صرح بتخليص الشعب وتحريره من قرآنه، والاعتناء بالأطفال لتنشئتهم على مبادئ غير التي شب عليها أجدادهم، ولعلمهم أفلحوا في ذلك إلى حد ما³¹.

هذا ما جعل العلماء والمثقفين من الشعب الجزائري يجتهدون في نشر الوعي الديني بين أوساط الناس، وإعادة المجتمع إلى عاداته وتقاليده الإسلامية التي كان عليها أجدادهم، وكون الشعر صوت الشعوب ومرآة حياتها، فقد كان الشعراء في طليعة هؤلاء.

تشبع شاعر الجزائر "مفدي زكريا" بثقافة إسلامية غزيرة ، صقلته بمكارم الأخلاق، وغذت روحه وعقله، أثنى كثيرا على الأخلاق، وحذر من التخلي عنها، كونها العمود الفقري لنجاح وتكوين الأمم، وهي طريق لكسب المعالي وتحقيق النجاح في الحياة وبناء الأمم، فكان ثوريا هائجا محرضا مؤلماً إبان الثورة، وكان موجها محذرا واعظا مرشدا بعدها حتى تُبنى الجزائر المستقلة على أساس إسلامي متين، من أجل بداية سليمة آمنة متغزلا من أجل ذلك بالشباب الجزائري، فقد كان يقول:

هي الأخلاق في الدنيا دليل إلى درب العلاء يعدوا الشباب
هي الأخلاق معجزة البرايا على هاماتها السحاب³²

يذهب الشاعر في عدد كبير من أشعاره إلى تذكير الشباب وحثهم على الرجوع إلى الأخلاق الإسلامية الفضيلة، وتجنب تقليد الغرب وما يترتب عن ذلك من انحلال أخلاقي كبير، فيقول في أحد أشعاره:

أمانا، من الخطر الداهم	ومن معول قاصف هـادم
غزا المذهبيون عقل الشبا	ب، بمستورد آفن إثم
وزاغوا بهم دون إسلامهم	إلى مذهب ليس بالسـالم
ودسوا شيوعية كالوباء،	كما يصرف السم للطاعـم
وقالوا التقدم شرع الحيا	ة، وكم ركض الحلم بالنائم؟
وقالوا: الرجوع إلى الدين	رجعي وان الحياة مع القائم
فضل الشباب البريء انخدا	عا، برقطاع في جلدـها الناعم
ولج مع الأردلين انحرافا	عن المبدأ الخالد الدائم
وبث أساتذة فيـون	فويل لمستتهـر عالم؟

وهنا نجد شاعرنا يقوم بدم الأساتذة والدكاترة الذين ييثون السموم في عقول الشباب، من خلال إغرائهم والتأثير فيهم بإيديولوجيات مستوردة من هنا وهناك، لا تمت للدين الإسلامي بصلة، ولا بعادات وتقاليد المجتمع الجزائري المحافظ، فلا تغريكم الشهادات ولا المراتب العلمية، فكم من عالم جاهل، وفي مقطع آخر له يحذر الأمة من أن تصاب في أخلاقها الإسلامية، فيقول:

تفسخ هذا الشباب وماعا	وخرب أخلاقه وتـداعي
فويل الجزائر والمسلمين	إذا دنس النشء هذي الطبـاعا
وكيف يسوس البلاد غبي	بليد أضاع الصمير فضاءعا
وكيف يقوم بنيانـه	وتقويم أخلاقه، ما استـطاعا؟؟
وكيف يصون الأصالة نشء	وقد ساوموه علـيها فباعا؟

وكيف ينير الطريق شباب
قد طمس الرجس فيه الشعاعا
وكيف يداوي المريض صح
يحا وفي قلبه مرض السل شاعا؟

الآيات الأخيرة تبين بصورة واضحة النزعة الدينية الإسلامية التي تمتع بها مفدي زكريا، وجسدها في أشعاره، فهو يحذر الأمة من فساد أخلاقها، وإلى جانب هذا التحذير فهو يمدح ويستثني الشباب الذين تربوا على الأخلاق والمبادئ الإسلامية وكانوا صورة مشرفة عن شباب الجزائر، فقال:

وأفلت من قفص الاتهام
شباب أصيل، وفي الزمام
شباب تطهر فيه الضمير
فأعرض عن شبهات الطعام
وأشرب من نبع إسلامه
وفلسفة الدين، روح النظام
ولم يتنكر لأجداده
وأجداده الخالدين العظام
ولا بالمذاهب يُغرى فتشرى
بيخس عقيدته كالسوام
ولم تختطفه مراهقة
ثقافية ضل عنها الفطام

ومن المظاهر التي تبرز النزعة الدينية الإسلامية في قصائد مفدي زكرياء، استعانت به بالعديد من الألفاظ القرآنية، وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، وتوظيفه لشخصيات إسلامية كبيرة، يقول:

وأوقف ركب الزمان طويلا
أسأله عن ثمود... وعاد...
وعن قصة المجد... من عهد
نوح وهل إرم... ذات العماد؟
فأقسم ذا الزمان يمينا
وقال الجزائر دون عــــناد³³.

يتضح من خلال هذه الآيات أن شاعرنا اقتبسها من قوله: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (6) إِرْمَ دَاتِ

الْعَمَادِ (7) 34

ويقول:

وأخرجت الأرض أثقالها
فطار بها العلم فوق الخيال³⁵

وهو اقتباس من سورة الزلزلة في الآية الثانية، قال الله تعالى: {وأخرجت الأرض أثقالها}³⁶

وإلى جانب اقتباسه من القرآن الكريم نجد أن شاعرنا اغترف من معين التاريخ الإسلامي، ووظف بعض أعلام الأمة ممن كانت لهم اليد الطولا في بناء الحضارة الإسلامية، أمثال خالد بن الوليد قائد جيوش المسلمين في فتوحات الشام والعراق، وصاحب الانتصارات العظيمة والمدوية، وأعظم قائد عسكري في تاريخ الإسلام،

وسعد بن أبي وقاص قائد فتوحات الفرس ومهندس انتصارات القادسية ونهاوند، كما ذكر أسماء بعض الأنبياء والرسل³⁷، و يقول في إحدى مقاطع الإلياذة عن دور الدين الإسلامي في نهضتنا:

أولئك آباؤنا ، منذ عيسى وكان محمدا صهرا لعيسى
 ولاح الصباح ، فهز السكارى وأجلى الندامى و رد الكؤوسا
 وأيقظ حلم الليالي الحبالى وأسرج في الكائنات الشموسا
 وأهوى على البغي ، يذرو الجذوع، ويغرس في الجبروت الفؤوسا
 وحذر آدم ظلم أخيه وسوى الحظوظ و أعلى الرؤوسا
 وأخرج حواء من رمسها فألهمت الروح هذي الرموسا
 لئن حارب الدين خبث النفوس فلم يغمط الدين هذي النفوسا
 ولم نكن ننكر آباءنا أكانوا نصارى .. أكانوا مجوسا
 وهل كان بربر إلا شقيقا لجرهم ؟ هلا نسينا الدروسا
 إذا عرب الدين أصلابنا فمازال أحمد صهرا لعيسى³⁸.

يمدح مفدي زكريا جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ويمدح مؤسسها، الشيخين عبد الحميد بن باديس والبشير الإبراهيمي، ويرجع إليها الفضل في تعليم الناس تعاليم الإسلام، وأخلاق المسلمين، وتقودهم إلى الصراط السوي، كما يؤكد دورهم في غرس معاني الإباء والنضال في عقول الشباب الجزائري، ويقارن نضالها بنضال حزب نجم شمال إفريقيا، الذي كان شاعرنا قياديا بارزا فيه، ورئيس تحرير جريدته الرسمية، ويقول في هذا:

و في الدار جمعية العلماء تغذي العقول بوحى السماء
 و دي النفوس الصراط السو ي وتغرس فيها معاني الإباء
 تواكب نجم الشمال اندفاعا وتغمر أكوانه بالسناء
 ويعضد باديس فيها البشير فتزخر بالخلص الأصفاء³⁹

ولعل أبرز الأبيات التي تدل على النزعة الإسلامية التي يحملها مفدي زكريا، ما جاء في قصيدته " نشيد الانطلاقة الوطنية الأولى لحزب نجمة إفريقيا الشمالية" الذي نظمته سنة 1936م، والذي يحمل في طياته الكثير من معاني الاعتزاز بالإسلام، يقول في بعض مقاصد القصيدة:

سرى بالروح دم الفاتحين فأذكى فيها معاني الفدا⁴⁰.

وهنا يشير إلى الفاتحين الأوائل لبلاد المغرب الإسلامي، من الصحابة والتابعين، فكأنه يقول أن روح جهادنا اليوم مستمد من روح الفاتحين، وإذا كان هدف الفاتحين نشر الإسلام في ربوع هذه الأرض، فهدف

ثورتنا الحفظ على حوزة الإسلام وتواجهه في الجزائر، وبالتالي الحفاظ على أمانتهم في هذه البلاد، ويقول أيضا في نفس القصيدة:

فلسنا نرضى الامتزاا ولسنا نرضى التجنيسا
 ولسنا نرضى الاندماا ولانرتد فرنسيسا
 رضينا بالإسلام تاجا كفى الجهال تديسا
 فكل من يبغى اعوجاا رجمناه كإبليسا

ثم يقول:

وهاهو أحمد يحدو بنا وهاهو جبريل فينا ينادي⁴¹.

وهنا يرد على دعاة الاندماج والانصهار في ثقافة الفرنسيين، ويذكرهم بأن الجزائر بلد عربي مسلم، لا نقبل بأي شكل من الأشكال رده، من الإسلام إلى الصليبية، ومن العروبة إلى الإفرنجية، ولن نخون أمانة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا القرآن الذي أنزل عليه، عن طريق جبريل عليه السلام.

خاتمة:

ومن جملة النتائج التي خلصنا إليها بعد هذه الدراسة مايلي:

- القومية هي ذاكرة المجتمع، وأي أمة لا يمكنها القيام إلا بالعودة إلى ماضيها وتراثها الأصيل، واستحضار أمجادها وبطولاتها، أما الوطنية فهي حب الوطن والشعور بالارتباط الظاهري والباطني به.
- نشأ مفدي زكرياء في بيئة محافظة وترعرع في عائلة جزائرية مسلمة شعارها الدين الإسلامي، وحب الوطن والجهاد في سبيله، من أجل الحرية، وكانت لأسفاره في المغرب وتونس الدور الكبير في زيادة تعلقه بالإسلام واللغة العربية والأخلاق الفاضلة .
- كان للأوضاع السياسية الصعبة التي عاشتها الجزائر، ومحاولات فرنسا المتكررة في إبعاد الشباب عن هويته العربية والإسلامية، دور بارز في اهتمامه الكبير بموضوع الهوية والقومية في قصائده.
- لاحظنا من خلال استقراءنا لعدد من قصائد مفدي زكرياء، أن معظم شعره موجه للشباب الجزائري والعربي على حد سواء، يحثهم فيه على التمسك بحلم الوحدة العربية، والالتزام بالأخلاق الإسلامية، وعدم الانسلاخ عن تقاليد المجتمع العربي .

- إن المبالغة في توظيف بعض المصطلحات الدينية والتاريخية لهو دليل على الروح الوطنية والنزعة القومية الكبيرة التي يتحلى بها شاعرنا، ومن أمثلة الكلمات التي بالغ في تكرارها نذكر: (حب الوطن، الوحدة العربية، المغرب الإسلامي، المغرب العربي، الإسلام، العروبة، قوم، الأخلاق، وغيرها).

الهوامش:

- 1 - ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، مصر، دط، دس، ص264.
- 2- لويس معروف، المنجد في اللغة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، دط، دس، ص665.
- 3- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2014، ص768.
- 4- عمر الدفاق، الإتجاه القومي في الشعر العربي الحديث، مكتبة دار الشرق، حلب، سوريا، ط2، 1963، ص179.
- 5- محمد منذور، معارك أدبية، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، مصر، دط، دس، ص301.
- 6- عمر الدفاق، المرجع السابق، ص221 و ما بعدها.
- 7- المرجع نفسه، ص227.
- 8- عبد الكريم بوصفصاف، الفكر العربي الحديث والمعاصر. محمد عبده وعبد الحميد بن باديس نموذجا، ج3، دار مداد، قسنطينة، الجزائر، ط1، 2009م، ص213.
- 9- محمد بزواوي، قاموس مصطلحات الأدب، الدار الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 2009م ص295.
- 10- عبد الكريم شبرو، التجربة الشعرية عند أبي القاسم سعد الله، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي الحديث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الحاج لخضر، اتنة، الجزائر، 2006.\2007، ص24.
- 11- سمية عطوي، الروح الدينية في ديوان الله المقدس لمفدي زكري. قصيدة " الذبيح الصاعد " أنموذجا، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة المسيلة، 2013/2012، ص ص81،82.
- 12- المرجع نفسه، ص83.
- 13- المرجع نفسه، ص ص83،84.
- 14- عبد القادر بوزياني، أبعاد الهوية الوطنية في الشعر الجزائري الحديث، "مجلة الكلم، المجلد4، العدد4، 2019، ص57.
- 15- أمينة طيبي، أخلاق الشباب في شعر مفدي زكرياء، "جسور المعرفة"، المجلد10، جوان 2017، ص52.
- 16- عبد القادر بوزياني، المرجع السابق، ص57.
- 17- مفدي زكرياء، إيلاذة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط02، 1987م، ص19.
- 18- مفدي زكرياء، الإلياذة، المرجع السابق، ص20.
- 19- نفسه.
- 20- المصدر نفسه، ص35.
- 21- المصدر نفسه، ص37.
- 22- مفدي زكرياء، اللهب المقدس. المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، دط، 2007م. ص319.
- 23- المصدر نفسه، ص ص54،53.
- 24- المصدر نفسه، ص ص46،47.
- 25- المصدر نفسه، ص254.
- 26- المصدر نفسه، ص ص79،80.
- 27- المصدر نفسه، ص70.
- 28- المصدر نفسه، ص84.
- 29- المصدر نفسه، ص148.
- 30- المصدر نفسه، ص175.

- 31- أمينة طيبي، المرجع السابق، ص53.
- 32- المرجع السابق، نفسه 52،53
- 33- مفدي زكرياء، الإلياذة، المرجع السابق، ص37.
- 34 - القرآن الكريم، سورة الفجر، الآية06،07.
- 35- مفدي زكرياء، الإلياذة، المرجع السابق، ص36.
- 36- القرآن الكريم، سورة الزلزلة، الآية02.
- 37- بوزيد ساسي هادف، المعجم الشعري في إلياذة الجزائر لشاعر الثورة الجزائرية مفدي زكرياء، "مجلة الباحث"، العدد 10، أوت 2012، ص165.
- 38- مفدي زكرياء، الإلياذة، المصدر السابق، ص42
- 39- المصدر نفسه، ص62.
- 40 - مفدي زكرياء، اللهب المقدس، المصدر السابق، ص89
- 41- المصدر نفسه، ص90.

قائمة المراجع:

1. القرآن الكريم.

2. الكتب:

- (1) بوزواوي محمد ، قاموس مصطلحات الأدب، الدار الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 2009م.
- (2) بوصفصاف عبد الكريم ، الفكر العربي الحديث والمعاصر. محمد عبده وعبد الحميد بن باديس نموذجا، ج3، دار مداد، قسنطينة، الجزائر، ط1، 2009م.
- (3) الدقاق عمر ، الإتجاه القومي في الشعر العربي الحديث، مكتبة دار الشرق، حلب، سوريا، ط2، 1963م.
- (4) مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط02، 1987م.
- (5) مفدي زكرياء، اللهب المقدس. المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، دط، 2007م.
- (6) مندور محمد ، معارك أدبية، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، مصر، دط، دس.

3. المقالات العلمية:

- (1) بوزياني عبد القادر ، أبعاد الهوية الوطنية في الشعر الجزائري الحديث، مجلة الكلم، المجلد4، العدد4، 2019.
- (2) طيبي أمينة، أخلاق الشباب في شعر مفدي زكرياء، جسور المعرفة، المجلد10، جوان 2017.
- (3) هادف بوزيد ساسي ، المعجم الشعري في إلياذة الجزائر لشاعر الثورة الجزائرية مفدي زكرياء، مجلة الباحث، العدد 10، أوت 2012.

4. مذكرات التخرج:

- (1) شبرو عبد الكريم، التجربة الشعرية عند أبي القاسم سعد الله، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي الحديث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2007\2006
- (2) عطوي سمية ، الروح الدينية في ديوان الله المقدس لمفدي زكرياء. قصيدة "الذبيح الصاعد" أنموذجا، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة المسيلة، 2013/2012.

5. القواميس:

- (1) لويس معروف ، المنجد في اللغة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، دط، دس.
- (2) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2014.
- (3) ابن منظور ، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، مصر، دط، دس.

Reference

- al-Daqqāq ‘A. (1963). The Nationalist Trend in Modern Arabic Poetry (2 ed.). Aleppo - Syria: Dar Al-Shorouk Library.
- Shbrw ‘A. A. (2007). The poetic experience of Abu al-Qasim Saad Allah (Master's thesis). University of Hajj Lakhdar, Batna - Algeria.
- Amīnah. T. (2017). The morals of youth in the poetry of Mufdi Zakaria. Knowledge Bridges, 3(10), 51-64. Retrieved at from <https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/136/3/10/22942>
- Mufdī Z. (2007). Holy Flame (D.T). Algeria: National Foundation for Graphic Arts.
- Mandūr M. Literary battles (d.t). Cairo - Egypt: Dar Nahdet Misr for printing and publishing.
- Būzayd. S. H. (2012). The poetic lexicon in Algeria's Iliad "by the poet of the Algerian revolution Moufdi Zakaria". Researcher, 4(10), 161-194. Retrieved at from <https://www.asjp.cerist.dz/en/article/37214>
- Ibn manzūr, Lisān al-‘Arab (Dr. i). Cairo, Egypt: House of Knowledge.
- Mufdī Z. (1987). The Iliad of Algeria (2 i). Algeria: National Book Foundation.
- Louis M. Al-Munajjid in the language (d. i). Beirut - Lebanon: Catholic Press.
- Bwzawāwy M. (2009). Dictionary of Literature Terms (1st ed.). Algeria: National Book House.
- Bwṣṣāf ‘A. A. (2009). Modern and Contemporary Arab Thought. Muhammad Abdo and Abd al-Hamid Ibn Badis as a model (1st ed., vol. 3). Constantine - Algeria: Dar Medad.
- ‘Aṭawī S. (2013). The religious spirit in the Holy Diwan of God by Mufdi Zekri. The poem “The Ascended Sacrifice” is a model (Master thesis). Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Arts and Languages, University of M’sila, M’Sila - Algeria.
- Complex A. a. (2014). Intermediate Lexicon (4 i). Egypt: Al Shorouk International Library.
- ‘Abd al-Qādir b. (2019). Dimensions of national identity in modern Algerian poetry. The Word, 4(1), 53-66. Retrieved at from <https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/513/4/1/87628>.